# مسايرة الشريعة لحياة الانسان ومصالحه


**الاستاذ الدكتور: محمد حمزة الشيباني**
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

**نقاء علي حسين**
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

**البريد الإلكتروني Email :** MM770054@yahoo.com
naqaaalawady946@gmail.com



**الكلمات المفتاحية:** التشريع الاسلامي، التشريع السياسي الاسلامي، القوانين الوضعية.

**كيفية اقتباس البحث**

الشيباني، محمد حمزة، نقاء علي حسين، مسايرة الشريعة لحياة الانسان ومصالحه، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢٣،المجلد:١٣ ،العدد:٣ .



**هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر ( Creative Commons Attribution ) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.**



مفهرسة في **Indexed**
**IASJ**

مسجلة في **Registered**
**ROAD**

# Sharia for human life and Interests

**Assistant professor. Prof. Dr . Mohammed Hamza Al-Shaibani**
University of Babylon college of lslamic sciences. Department of Quranic sciences

**Naqaa Ali Hassan**
University of Babylon college of lslamic sciences. Department of Quranic sciences

**Keywords** : Islamic legislation, Islamic political legislation, man-made laws.

**How To Cite This Article**
Al-Shaibani, Mohammed Hamza , Naqaa Ali Hassan, Sharia for human life and Interests, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2023,Volume:13,Issue 3.

**This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

## ABSRACT

Islamic legislation is necessary to reform people in terms of life and time. It is the legislation of truth and justice in the judiciary and the application of what was brought by the Book of God Almighty and evidence of the power of Sharia. The Almighty said: {There has come to you from God a light and a clear book}, It also preserves the rights of the individual to the fullest extent due to the existence of laws and penalties that apply to everyone without exception. Her country, in their view, oppresses the individual and limits his freedom, and this is wrong. Therefore, Islamic legislation is considered a means of teaching people the constitution of heaven, including doctrine, worship, morals, and transactions, and a political, social, economic, educational, jihadist and educational system, and then the necessity of working with what they have learned and applying it fully in all facilities. Life, and that

arbitrating other than that in the field of individual, family, and group relations is blasphemy, injustice and immorality.

The Islamic Sharia does not limit people’s needs and new developments in their conditions and affairs, and achieves their legitimate interests by adopting the method of ijtihad and innovation. These are all indications that Islamic legislation is fertile and flexible, keeping pace with temporal interests and differences in data.The Islamic religion is balanced and moderate, taking into account all aspects of life and controlling them in a rhythm that is consistent with the human instinct of love for learning, ownership and creativity. It pertains to him without restricting freedoms in a way that kills creativity, but rather preserves the balance of society and controls its affairs and activity. The whole society did not harness the building of temples or glorify people, but rather set a general goal, which is the establishment of this religion, and everyone has to work on this from his position. The doctor, engineer and teacher all innovate in their fields for the sake of their religion And in order to establish it, but as we said, without absolute identification and shackled controls for creativity.

The Islamic legislation is a comprehensive legislation concerned with all aspects of life and intervenes in its smallest details to organize and rule in any dispute, no matter how small or large.

**الملخص**


التشريع الإسلامي ضروري لإصلاح العباد في المعاش والميعاد، فهو تشريع الحق والعدالة في القضاء وتطبيق ما جاء به كتاب الله عز وجل ودليل على قوة الشريعة قال تعالى في سورة المائدة اية(١٥) ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾، وايضا هي تحفظ حقوق الفرد على اكمل وجه بسبب وجود قوانين وعقوبات تطبق على الجميع دون استثناء وهذه العقوبات لتخويف الفرد وردعه من ارتكاب اي خطأ، ولان الجرائم لا يرضى عنها الله وعقوبة هذه الجرائم تطبق بسرعة ولا هوان فيها هناك دول كثيرة لا تحب ان تطبق الشريعة في بلادها لنظرهم انها تكبت على الفرد وتحد من حريته وهذا الامر خاطئ، لذا يعتبر التشريع الاسلامي وسيلة لتعليم الناس دستور السماء بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي وتربوي وجهادي وتعلمي، ثم وجوب العمل بما تعلموه وتطبيق ذلك تطبيقًا كاملا في جميع مرافق الحياة، وأن تحكيم غير ذلك في مجال علاقات الأفراد والأسر والجماعة يعد كفرًا وظلمًا وفسقًا.

وإن الشريعة الإسلامية لا تضيق بحاجات الناس وما يستجد من أحوالهم وأمورهم ومحققة لمصالحهم المشروعة باعتمادها منهج الاجتهاد والتجديد، إن المبادئ الهامة والقواعد الكلية التي

جاءت في المصادر الثابتة كالقرآن والسنة والآراء الاجتهادية التي وردت في المصادر المرنة كالمصالح المرسلة والقياس والاستحسان وغيرها وكذا مراعاة التقاليد والأعراف المكانية كلها دلائل توضح أن التشريع الإسلامي خصب مرن يساير المصالح الزمنية واختلاف البيانات، فإن التشريع الإسلامي تشريع شامل يعنى بكافة مناحي الحياة ويتدخل في أدق تفاصيلها لينظمها ويحكم فيها في أي خلاف مهما كان صغيرا أو كبيرا ،إنّ الدين الإسلامي متوازنا معتدلا يراعي كافة مناحي الحياة ويضبطها بإيقاع ينسجم مع الفطرة الإنسانية من حّب للتعلم والتملك والإبداع، بل ويشجع على ذلك مع وجود ضوابط تراعي حقوق المجتمع والبيئة، بل وحتى باقي المخلوقات، نجده يذكر باباً من أبواب النشاط الإنساني ويلحقه بمجموعة من الضوابط التي تخصه دون تقييد للحريات بشكل يقتل الإبداع و إنّما يحفظ توازن المجتمع ويضبط أموره ونشاطه، فلم يسخر المجتمع كله لبناء معابد أو تمجيد أشخاص وإنمّا وضع هدفا عاما وهو قيام هذا الدين ولكل أن يعمل على هذا من موقعه فالطبيب والمهندس والمعلم كلهم يبدعون في مجالاتهم من اجل دينهم ومن اجل إقامته ولكن وكما قلنا دون تحديد مطلق وضوابط مكبلة للإبداع ويهدف البحث لتعرف على التشريع الاسلامي بالإضافة الى اهم الخصائص ومميزات التشريع الإسلامي وما هو أثر الشريعة لحياة الإنسان ومصالحة.

**المقدمة**

التشريع الإسلامي هو سن القوانين التي تعرف منها الأحكام لأعمال المكلفين، وما يحدث لهم من الأقضية والحوادث، فإن كان مصدر هذا التشريع، هو الله سبحانه بواسطة رسله وكتبه فهو التشريع الإلهي، وإن كان مصدره الناس سواء أكانوا أفرادا أم جماعات فهو التشريع الوضعي. كما يقصد به على وجه الخصوص تلك الأحكام التي سنها الله لعباده على لسان نبيه ليكونوا مؤمنين صالحين في الحياة الدنيا والآخرة، وما أضافه فقهاء الإسلام من اجتهادات قياسا عليها، وسواء تعلقت هذه الأحكام بالأفعال، أم بالعقائد أم بالأخلاق، وهو جملة ما تضمنته الشريعة، والقوانين الإسلامية تكون على نوعين : قوانين سنها الله سبحانه بآياته ، وهذا يطلق عليه بالتشريع الإلهي المحض، وقوانين سنها مجتهدو المسلمين من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين استنباطا من نصوص التشريع الإلهي وروحها ومعقولها، ومما أرشدت إليه من مصادر، وهذه تعتبر تشريعا إلهيا باعتبار مرجعها ومصدرها، وتعد تشريعا وضعيا باعتبار جهود المجتهدين في استمدادها واستنباطها، ومن اجل ذلك قسم البحث الى مبحثين وتناول المبحث الاول التشريع الاسلامي وخصائصه بالإضافة الى الفرق بينه وبين القوانين الوضعية كذلك اهم مميزاته اما المبحث الثاني فقد تناول الحث على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب الأمم.

**وقد توصل الباحث الى النتائج الآتية :**

١.التشريع الإسلامي تشريع شامل يعنى بكافة مناحي الحياة ويتدخل في أدق تفاصيلها لينظمها وليحتكم إليها في أي خلاف مهما صغر أو كبر.

٢.ان الشريعة الإسلامية تنبثق من فكرة الحلال والحرام، والإيمان بالدار الآخرة، وتربي الضمير الإنساني ليكون رقيباً على المسلم في السر والعلن.

٣.ان التشريع الاسلامي يتسم بالشمول، والتوازن: فالإسلام بعدم فصله بين الدين والدنيا، ولا بين الدنيا والآخرة، وبما يوثق من الصلة المحكمة بينهما، بحيث يجعل الدنيا طريقاً إلى الآخرة، يعتبر شاملاً موضوعيا، وإنسانيا، وفطريا، وزمانيا، ومكانيا.

٤.إن التشريع مقوم أساسي من مقومات المجتمع، فلا بد لأي مجتمع من قانون يضبط علاقاته، ويعاقب من انحرف عن قواعده، سواء أكان هذا القانون مما نزل من السماء، أم مما خرج من الأرض، فالضمائر والدوافع الذاتية لا تكفي وحدها لعموم الخلق، والمحافظة على سلامة الجماعة، وصيانة كيانها المادي والمعنوي، وإقامة القسط بين الناس.

٥.والعلم في الحضارة البناءة هو منهج، وطريق؛ تستشرف به غيوب المستقبل، وأسلوب من أساليب التعامل مع الأشياء، من البحث والنظر، وربط النتيجة بالسبب، وطريقة من طرائق التفكير التي بها تشاد الحضارة.

## المبحث الاول

## التشريع الإسلامي

إن الدين الإسلامي متوازنا معتدلا يراعي كافة مناحي الحياة ويضبطها بإيقاع ينسجم مع الفطرة الإنسانية من حب للتعلم والتملك والإبداع بل ويشجع على ذلك مع وجود ضوابط تراعي حقوق المجتمع والبيئة بل وحتى باقي المخلوقات، نجده يذكر باباً من أبواب النشاط الإنساني ويلحقه بمجموعة من الضوابط التي تخصه دون تقييد للحريات بشكل يقتل الإبداع و إنما يحفظ توازن المجتمع ويضبط أموره ونشاطه، فلم يسخر المجتمع كله لبناء معابد أو تمجيد أشخاص وإنما وضع هدفا عاما وهو قيام هذا الدين ولكل أن يعمل على هذا من موقعه فالطبيب والمهندس والمعلم كلهم يبدعون في مجالاتهم من أجل دينهم ومن أجل إقامته ولكن وكما قلنا دون تحديد مطلق وضوابط مكبلة للإبداع(١).

لذا فإن التشريع الإسلامي تشريع شامل يعنى بكافة مناحي الحياة ويتدخل في أدق تفاصيلها لينظمها وليحتكم إليها في أي خلاف مهما صغر أو كبر، فالغاية من التشريع "هي تعليم الناس دستور السماء بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ونظام سياسي

واجتماعي واقتصادي وتربوي وجهادي وتعلمي، ثم وجوب العمل بما تعلموه وتطبيق ذلك تطبيقًا كاملا في جميع مرافق الحياة، وأن تحكيم غير ذلك في مجال علاقات الأفراد والأسر والجماعة يعد كفرًا وظلمًا وفسقًا"(٢).

إن من مقاصد الشريعة أن تكون نافذة في الأمة، إذ لا تحصل المنفعة المقصودة منه كاملة بدون نفوذها، وإن أعظم باعث على احترام الشريعة ونفوذها خطاب الله تعالى للأمة قال الله تعالى﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾(٣)، ومما يدل على نفوذ الشريعة في الأمة وأنه يجب عليها أن تطيعها أدلة كثيرة، وقال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ** ﴾(٤)، عن موسى بن عقبة أنه قال : لقد قيل لمعاوية إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام فلو قد أمرته يصعد المنبر فيخطب فان فيه حصراً وفي لسانه كلالة، فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت فصعد الحسين عليه السلام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه واله وسلم فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره ولا يبطئنا تأويله، بل نتبع حقائقه، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة٥.

﴿**وقال تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ ٠وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (٦).

**ولقد سلكت الشريعة الإسلامية مسلكين لتحصيل ذلك:**

١.**المسلك الأول:** مسلك الحزم في إقامة أحكام الشريعة. وقد يتطلب ذلك استخدام القوة أو السلطة في تطبيق التشريع أو منع تعطيل تطبيقه في الكثير من الحالات خصوصا في حالات النزاعات الداخلية في المجتمع كما سيظهر لاحقا.

٢.**المسلك الثاني:** مسلك التيسير والرحمة بقدر لا يفضي إلى انعدام مقاصد الشريعة. بمعنى محاولة التقريب بين الناس ومحاولة حل النزاعات بشكل ودي مبني على التسامح وإسقاط الحق في بعض الحالات.

فالدين الإسلامي هو دين سماوي رباني ابتداء، وكل مصادر التشريع في الدين الإسلامي هي مصادر ربانية دلّ رب العالمين الناس عليها عن طريق كتاب سماوي وهو القرآن الكريم ومن

وحي الله عز وجل إلى نبيه وهي السنة النبوية، وقد أمر الله عز وجل الناس بداية بإتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة للوصول إلى أي شيء يتعلق بحياتهم أو آخرتهم(٧).

كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾(٨)

**اولا: خصائص التشريع السياسي الاسلامي**

ان خصائص التشريع السياسي الإسلامي التي تتمثل الشخصية المعنوية للدولة، ووظائفها، وغاياتها (٩).

١.إن (السياسة) عنصر جوهري في مفهومه، يتكامل به هذا التشريع فعلاً منذ نزوله على الأرض وحياً، من قبل أن نظام الدين -كما يرى الغزالي – لا يتم إلا بنظام الدنيا، فليست السياسة إذن أمراً عارضاً على هذا التشريع، وبيان ذلك أن هذا التشريع بما ثبت أنه ظاهرة حضارية إنسانية وعالمية، كما بينا، قد جعل الدولة وعاء للحياة الإنسانية التي استهدفت تحقيقها بها، دون تمييز في العنصر، أو اللغة أو الدين، ولذا كانت إقامة السلطة الحاكمة، أو الولاية العامة من أعظم القربات عند الله تعالى، على النحو الذي رأينا عند أئمة الفقه السياسي الإسلامي.

٢. يتسم بالشمول، والتوازن: فالإسلام بعدم فصله بين الدين والدنيا، ولا بين الدنيا والآخرة، وبما يوثق من الصلة المحكمة بينهما، بحيث يجعل الدنيا طريقاً إلى الآخرة، ومطية لها (ومن فقد المطية فقد الوصول) كما يقول ابن خلدون، يعتبر شاملاً موضوعيا، وإنسانيا، وفطريا، وزمانيا، ومكانيا. أما موضوعيا، فلأنه تناول شؤون الدين والدنيا والآخرة، وأما زمنيا، فلأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة، وبذلك كان بأصوله الكلية ومقاصده العامة بجميع مراتبها (الكلمة النهائية) للوحي السماوي، وللحضارة الإنسانية، وباعتبار أنه خاطب البشر كافة، فمنهم من استجاب، وهؤلاء هم (أمة الإجابة)، ومنهم من لم يستجب وهؤلاء يسمون (أمة الدعوة) وأيا ما كان فهذا شمول إنساني، وباعتبار أنه استجاب لمطالب الجسد والروح، كان شموله فطريا أيضاً، دون أن يجعل لأحدهما سبيلاً أن يحيف على الآخر، تحقيقاً (للتوازن)، وبهذا الشمول بكافة نواحيه وبالتوازن، يعتبر آية على اقتداره على النهوض بأعباء لم تستطع (العلمانية) المجردة، ولا أي دين سماوي آخر أن ينهض بمقتضيات هذا الشمول، والتوفيق، والتوازن، تشريعاً وعملاً.

٣. إن الدولة في هذا التشريع تفوق في وظائفها الإيجابية الشاملة أي دولة حديثة: ذلك أن اختصاصات الدولة في هذا التشريع، بشمولها لكافة وجوه النشاط الحيوي الذي يتعلق بجميع

مجالات الحياة، حتى ما يتصل منها بنوع المأكل والمشرب والملبس للإنسان الفرد في خاصة نفسه، ووجوب إقامة مرافق الدولة وولاياتها العامة، ومؤسساتها، والإشراف المباشر على تصرفات الأفراد فيما يتعلق بما منحوها من حريات عامة وحقوق خاصة، وتنفيذ ما أنيط بها من تحقيق ما تقتضيه المصالح الحيوية للأمة، أفراداً وجماعات، وما يوجبه مبدأ التكافل السياسي والاجتماعي والاقتصادي الملزم، عن طريق التشريعات، سواء بين الأفراد بعضهم قبل بعض، أو بين الأفراد والدولة، أو بين الأمة والدولة في شخصيتهما المعنوية، تحقيقاً للمصالح الحيوية للدولة، كما أشرنا، مهما تعددت وتنوعت، نتيجة للتقدم العلمي والتقني والحضاري بوجه عام؛ إذ لم يحصر هذا التشريع وظائف الدولة بعدد معين، ولا نوع معين، فروضاً عامة تلقي بنوعين من المسؤولية، لتحقيقها واقعاً، إن اختصاصات الدولة على هذا النحو قد جعلها تفوق وظائف الدولة الحديثة، في الشرق والغرب على السواء، فالله عز وجل ليس رب العرب وحدهم، وإنما هو رب العالمين؛ والإسلام ليس ديناً مقتصراً على اللسانين بالعربية من دون سواهم، وإنما هو الكتاب الأعظم، كتاب الوحي الذي ستظل أحكامه صالحة لكل زمان ومكان، لأنها تتضمن العناوين الرئيسة الدائمة التي تحكم مجمل الأحكام الفرعية التي تعنى بتنظيم الإنسان المؤمن في علاقاته الثلاث: علاقته بربه، وعلاقته بالناس، وعلاقته بنفسه، ومن صدق تلاؤم الدين مع فطرة الإنسان ما جعله يسير على الدوام في اتجاه متحرك، يهدي الكثير، ممن لم يكونوا قد اهتدوا من قبل إلى صدق أحكامه، ودقة موازينه.

اذن القرآن الكريم أنطوى على مبادئ وأشار إلى عوامل موضوعية وأخرى تطبيقية مثلت المقومات الأساسية لنشأة الحضارة الإنسانية ورقيها، وإن عملية بناء الكون وتهيئة الأرضية الصالحة للحياة على الأرض، قد سبقت خلق آدم بأزمان لا يعلمها إلا الله، وما دامت المقاييس الآدمية تجيء دائماً نسبية قاصرة محدودة إزاء خلق الله، فليس لنا أن نطمح للإحاطة الكاملة والتفسير الشامل لقضية التكوين هذه، وليس لنا كذلك ان نفترض نظريات لا جدوى من ورائها(١٠) وكل ما بينه القرآن عن امتداد عملية الخلق هذه في عصورنا التأريخية الراهنة والمقبلة، كذلك ان الكون ماض في حركته نحو الاتساع الدائم بإرادة الله كما في قوله تعالى﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾(١١)، وأن تنعكس، في التصور الإسلامي، على حركة التأريخ البشري نفسه، ومصير الإنسان في العالم، قبل أن يجيء اليوم الذي أعلن عنه القرآن مراراً حيث تطوى السماوات كطي السجل للكتاب، وتكف الحياة والتأريخ البشري عن (الاستمرار) تمهيداً ليوم الحساب(١٢)، وتبدأ صفحة جديدة في تأريخ الخلق الإلهي الدائم كما قال الله عز وجل ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ**﴾(١٣).



مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٣

ان النظر في كتاب الله لمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بالمقومات التي تدعم بناء الحضارة للإنسان يرتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي انيط بالإنسان، وبالعمل والجدوى والنظام والأعمار والغاية التي بعث من اجلها، وهي كلها قواعد أساسية لأي نشاط حضاري فعال هادف منظم متطور على الأرض كقوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ**﴾(١٤).

نجد ان المقومات المنهجية تؤكد جميعها على ضرورة بناء نظرياتنا في العمارة وتخطيط المدن بالمقام الأول على القرآن الكريم ووضع القوانين والضوابط المستنبطة من القواعد الكلية، والاجتهاد في وضع التفصيلات لهذا القانون والنظريات من خلال التعامل مع مصادر التشريع .

**ثانيا :الفرق بين التشريع الاسلامي والقوانين الوضعية**

ويمكن التفريق بين التشريع الاسلامي والقوانين الوضعية من عدة نواحي هي(١٥):

١.القانون الوضعي تنظيم بشري من صنع الناس، لا ينبغي بالتشريع السماوي الذي جاء من عند الله، للفرق بين الخالق والمخلوق، ولن يستوي لدى العقول أن يقارن ما صنعه الناس بما صنعه رب الناس.

٢.والذين يضعون القانون بشر، يخضعون للأهواء والنزعات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية، فيقعون تحت تأثير هذه العوامل التي تحيد والقيام على شؤون الحياة بالقسط، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة، فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق الأمور، وأن يحيطوا بها خبرا، وبهذا تكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتبديل، ولا يكون لها مقياس ثابت لحكم، فما هو حلال اليوم حراماً غداً، وبذلك تختلف موازين الحياة ومقاييس الخير والشر، وتتلون بتلون الإنسان وتحول ميوله وعواطفه، فتظل الحياة الإنسانية في اضطراب دائم، كما نشاهده اليوم في حياة الأمم التي تحكم بغير ما أنزل الله، فقد يصير والشريعة وحي الهي منزه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم، الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم قال تعالى﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (١٦)،يحتاج إلى بيان أمرين: الأول: إن علمه تعالى بجميع ما سواه . سبحانه . حقيقة متأصلة فعلية من غير احتياج العلم إلى المعلوم، وليس أيضاً حقيقة إضافية يحتاج في تحققه وتأصله إلى المعلوم، فعليه لا وجه للالتزام بأن العلم الغير المتناهي شدة وسعة يحتاج إلى المعلوم الغير المتناهي، الثاني : يستحيل تحقق المعلوم خارجا إلا بعد مرتبة العلم به قبل وجوده، خارجا من حيث أصل وجوده؛ وهكذا بالنسبة إلى تنظيم للخلقة وإحكام الصنع وجودة النظم بالضرورة. فعلى هذا، قوله تعالى: « ألا يعلم ...» تذكرة وإرشاد إلى أمر ضروري ببداهة العقل أن جميع ما خلق الله من الخلق من ذرة وما دونها

وما فوقها آية وعلامة لوجود العلم الظاهر بذاته بالضرورة، قوله تعالى : « وهو اللطيف الخبير»، في رواية شريفة عن أبي الحسن الرضا . عليه السلام . في بيان معاني أسمائه تعالى والتفريق بين معاني أسمائه . سبحانه . وبين أسماء ما سواه تعالى قال : «وأما اللطيف»، فليس على قلة وقضافة وصغر؛ ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك ... فكذلك لطف الله تبارك وتعالى . عن أن يدرك بحد ويحد بوصف ... وأما الخبير، فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته[١٧].

وهو سبحانه منزه عما يعتري الخلق من القصور والنقص قال تعالى ﴿**لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ [١٨]. وقد بينت الشريعة الإسلامية الأصول الكلية التي تقوم عليها حياة البشر، ولا سبيل إلى الأخذ فيها بالرأي المجرد عن الدليل والنبي صلى الله عليه واله وسلم مع يتبع إلا الوحي قال تعالى ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ [١٩]، ولا يكون حكمه إلا بما علم عن الله قال تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [٢٠]، وانتزاع التشريع من أيدي البشر، ورده إلى الله ورسوله، يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقياس لا يعتريها خلل أو قصور.

٣.القانون الوضعي نظام محدود القواعد، يلبي حاجة الجماعة لتنظيم حياتهم الحاضرة، ويتطور بتطورها، نشأ بادئ ذي بدء في نظام الأسرة، ثم في نظام القبيلة، ولم يتحول إلى نظريات علمية إلا في القرن التاسع عشر، والتشريع السماوي بعامة يولد متكاملاً وافياً بمطالب الحياة، محكم النسيج، صافي المورد.

٤.قواعد القانون الوضعي مؤقتة لجماعة خاصة في عصر معين، حاجة الى التغيير كلما تطورت الجماعة وتجددت مطالبها، وقواعد الشريعة الإسلامية بصفة خاصة لم تأت لقوم دون قوم، أو لعصر دون عصر، ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة، تسد حاجة الجماعة وترفع مستواها في كل عصر، وقد مر على الشريعة الإسلامية زهاء أربعة عشر قرناً من الزمان، تغيرت فيها أوضاع الجماعات، واندثرت فيها مئات القوانين والأنظمة، وانقلبت مبادئها رأساً على عقب، ولا تزال تلك الشريعة غضة صالحة لكل زمان ومكان، تحمل نصوصها عناصر النمو والارتقاء.

٥.القانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية، في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة إذا استثنينا ما يتصل بالعلاقات الدولية، ولا يمت بصلة إلى عقيدة التوحيد ومقتضياتها، والشريعة الإسلامية تتناول الإيمان بالله ورسله وعالم الغيب، وصلة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي، وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها.



Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume 13 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

٦.القوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية، وتقصر المخالفة على ما فيه ضرر مباشر للأفراد، أو إخلال بالأمن والنظام العام، فلا تعاقب القوانين الوضعية على الزنا إلا إذا أكره أحد الطرفين الآخر، أو كان الزنا بغير رضاه رضاء تاماً، لأن الزنا في هاتين الحالتين يمس ضرره المباشر الأفراد، كما يمس الأمن العام، وأكثر القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر، ولا تعاقب على السكر لذاته، وإنما تعاقب السكران إذا وجد في الطريق العام في حالة سكر بين، فالعقاب على وجوده في حالة سكر في الطريق العام، لأن وجوده في هذه الحال يعرض الناس لأذاه واعتداءه، وليس العقاب على السكر لذاته باعتباره رذيلة، ولا على شرب الخمر باعتبار أن شربها مضر بالصحة، مذهب للعقل، مفسد للأخلاق. والشريعة الإسلامية، شريعة أخلاقية، وليست الأخلاق في الإسلام أدباً يجمل صاحبه، ولكنها التزامات من واجبات الدين، اذ إن الأخلاق في الإسلام غاية تربوية للعبادات، والتزام أدبي في المعاملات، يجعل حياة الناس قائمة على المعروف والحسنى، وقد حث الإسلام على أمهات الفضائل الإنسانية ودعا إلى المثل العليا، وأثنى على مكارم الأخلاق، وقال الله في نبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١)، الخلق ... بالضم و بضمتين: السجية والطبع والمروءة والدين، الخلق . بضم اللام وسكونها . وهو: الدين والطبع والسجية. عن ابن بابويه مسندا، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر . عليه السّلام . في قول الله – عز و جل ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: « هو الإسلام.» وفيه أيضاً، عن علي بن ابراهيم، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر . عليه السلام-: قوله ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: على دين عظيم، وقال « وإنك » يا محمد ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: على دين عظيم؛ وهو دين الإسلام، عن ابن عباس ومجاهد والحسن، حيث ان بيان : المراد من الدين هنا ليس على إطلاقه وإجماله، والعناية الملحوظة في المقام أن الإنسان الجامع لشرائط التكليف، إذا كان مطيعاً وممتثلاً لأمره تعالى ونهيه، سواء كان في أفعاله الخارجية أو في أفعاله القلبية، وكذلك في امتثال الأحكام العقلية كلها، وكان حفيظاً ورقيباً على نفسه ولا يرخص نفسه في مخالفة ربه في شيء من أوامره ونواهيه ومعتصماً بعصمة الله المنيعة، فهذا هو الخلق العظيم والدين القيم، ومن هنا يعلم أن تفسير الخلق بالطبع والسجية، غير متناسب في المقام، وفي الإتيان بالجملة الاسمية، وتصديرها بـ «إن» المشددة ولام التأكيد، عناية بالغة بالاهتمام في المقام. وهذه الشهادة من الله . سبحانه . في حق رسوله . صلى الله عليه و آله . شهادة حق وقول صدق. وفيها بلاغ وهداية وكفاية لأولي الألباب والأبصار[٢٢].

٧.تفقد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية، لأن سلطة العقوبة وحدها لا تكفي في ردع المجرم، ولذا فإن واضعي القانون يعملون على ترضية الجماهير وإقناعها بصلاحية النظم



Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

التي وضعوها حتى يمتثلوها، ولكن الناس يدركون أن لا سلطة للقوانين الوضعية إلا إذا وقع المرء تحت طائلة المخالفة، وضبط متلبساً بجريمته، إذ لا علاقة لها بالحياة الآخرة، فيكون المجال فسيحاً للخروج على القانون بوسائل الحيلة والدهاء. فلا يقف دون وصول الناس إلى أغراضهم السيئة من فساد في الأرض قانون مهما كان دقيقاً.

**ثالثا : مميزات التشريع الإسلامي**

**فالشريعة الإسلامية تمتاز على القوانين الوضعية بثلاث ميزات جوهرية:**

**الميزة الأولى**ـ الكمال: تمتاز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية بالكمال؛ أي بأنها استكملت كل ما تحتاجه الشريعة الكاملة من قواعد ومبادئ ونظريات، وأنها غنية بالمبادئ والنظريات التي تكفل سد حاجات الجماعة في الحاضر القريب والمستقبل البعيد.

**الميزة الثانية** . السمو: تمتاز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية، بالسمو؛ أي بأن قواعدها ومبادئها أسمى دائما من مستوى الجماعة؛ وأن فيها من المبادئ، والنظريات ما يحفظ لها هذا المستوى السامي بها ارتفع مستوى الجماعة.

**الميزة الثالثة**ـ الدوام: تمتاز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية بالدوام؛ أي بالثبات والاستقرار، فنصوصها لا تقبل التعديل والتبديل مهما مرت الأعوام وطالت الأزمات وهي مع ذلك تظل حافظة لصلاحيتها في كل زمان ومكان.

هذه هي المميزات الجوهرية للشريعة الإسلامية، وهي على تعددها وتباينها ترجع إلى أصل واحد نشأت عنده جميعا بحيث يعتبر كل منها أثراً من آثاره وهذا الأصل أن الشريعة الإسلامية من عند الله ومن صنعه، ولولا ان الشريعة من عند الله ما توفرت فيها صفات الكمال والسمو والدوام تلك الصفات التي تتوفر دائما فيما يصنعه الخالق ولا يتوفر شيء منها فيها يصنعه المخلوق[٢٣].

إذ إن الشريعة الإسلامية تنبثق من فكرة الحلال والحرام، والإيمان بالدار الآخرة، وتربي الضمير الإنساني ليكون رقيباً على المسلم في السر والعلن، يخشى عقاب الله الأخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي، فالفعل التعبدي، أو المدني، أو الجنائي، أو الدستوري، أو الدولي، له أثره المترتب عليه في الدنيا من أداء الواجب، أو إفادة الحل والملك، أو إنشاء الحق أو زواله، أو توقيع العقوبة، أو ترتيب المسؤولية، ولكن هذا الفعل الذي يترتب عليه أثره في الدنيا له أثر آخر مترتب عليه في الآخرة هو المثوبة أو العقوبة الاخروية، ومن يتتبع آيات الأحكام يجد كثيراً منها قد رتب عليه جزاءان: جزاء دنيوي وجزاء أخروي، ففي القتل يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [٢٤]، وفي

قطع الطريق أو الحرابة يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٥)، وفي إشاعة الفاحشة ورمي المحصنات يقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦)، ذوو العيوب يحبون إشاعة معايب الناس : ليتسع لهم الغدر في معايبهم، عن الامام(ع) – لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي، وقال عليه السلام بثوبه هكذا[٢٧].

إلى غير ذلك من الآيات، وبذلك يقيم الإسلام من داخل النفس البشرية رقابة على تعاليمه، بحيث يرعاها المسلم في جوف الليل، كما يرعاها في وضح النهار، والأدلة الظاهرة، لإثبات الحق في القضاء لا تجعل هذا الحق حلالاً لمستحقه إلا إذا كان حقاً له في الواقع (٢٨).

ان كل ممارسة باطنية كانت أم ظاهرية، يمكن ان تكون تعبداً إذا كمنت وراءها نية مؤمنة تسعى إلى أن تجعل من كل فاعلية في الحياة وسيلة يتقرب بها الإنسان من الله، يتعبد إليه، ويتذكر وجوده الشامل القادر المريد، هذه القاعدة الشاملة التي تضم، فيما تضم، الشعائر الإسلامية الخمس نفسها مضافاً إليها كل الفاعليات الأخرى، كما ان مقومات الحضارة هي تلك الضوابط أو القوانين التي تتحكم في عملية التحضر، ولقد أكد القرآن الكريم أن الساحة التاريخية والاجتماعية للأمم لها سنن وضوابط مثل سائر الساحات الكونية الأخرى الفيزيائية والكيميائية والفلكية والحيوانية والنباتية (٢٩).

وبهذه الدوافع جاءت الدعوة في القرآن للسير في الأرض لمعرفة سنن الله، في السابقين، وإدراك عواقبهم في الإصلاح والعدل، وفي حالات الفساد والظلم ومن سمة المقومات أنها ثابتة لا تتغير بعوامل الزمان والمكان ومن هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣٠).

السنن جمع سنة وهي الطريقة المسلوكة في المجتمع، والأمر بالسير في الأرض لمكان الاعتبار بآثار الماضين من الامم الغابرة، والملوك والفراعنة الطاغية حيث لم ينفعهم شواهق قصورهم، ولا ذخائر كنوزهم، ولا عروشهم ولا جموعهم، وقد جعلهم الله أحاديث يعتبر بها المعتبرون) ويتفكه بها المغفلون، وأما حفظ آثارهم وكلاثة تماثيلهم والجهد في الكشف عن عظمتهم ومجدهم الظاهر الدنيوي الذي في أيامهم فما لا يعتني به القرآن، فإنما هي الوثنية التي لا تزال نظهر كل حين في لباس، في حين قوله تعالى ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾، الآية التقسيم باعتبار التأثير فهو بلاغ وإبانة لبعض وهدى وموعظة لآخرين[٣١].

أن غياب فكرة ربط الأحداث اليومية العالمية النفسية والاجتماعية بالمقومات الكونية التي تجري وفقها الحياة عن فكر الانسان، والناتج عن بعد الانسان عن الله وعدم انبثاق هذه الفكرة من بيئة اجتماعية أو ثقافية ينتمي اليها، ادى الى عدم اهتداء الانسان إلى إثبات المقومات الربانية في الوجود المقترنة بالمشيئة الإلهية المطلقة، فتكون الحركة التاريخية والاجتماعية والقدرة البشرية والإرادة الربانية في توازن بين المقومات العادية وطلاقة المشيئة الإلهية وهذه حقيقة ثابتة في سير الحياة منذ الخليقة الأولى، ولعل هذه من العبر المقصود اكتشافها من السير في الأرض في قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(٣٢).

وبهذا فأن المقومات تكون فاعلة في حياة الناس وتقلباتهم الحضارية من خلال النفس البشرية فسريان أي سنة (قانون) يعتمد على وجود مقدمات تعرف على أساسها المآلات وتوجد مسببات تؤدي إلى الأسباب (قانون السبب) وهذه مرتبطة بالإنسان في حالة استقامته أو انحرافه وأتباعه سبيل الحق، وهذا كله مقترن بالمشيئة الإلهية المطلقة، وشهوده الذاتي على نفسه المؤدي للشهود على الآخر فمثلاً الإساءة في توقيع بعض المواقع الصناعية في المدن في المخططات الأساسية، يجري عليه ضوء يصيب المدينة اقترن بسوء دراسة وتوقيع هذه المناطق، وإن العبادة عهد أخذه الله على بني آدم، فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾(٣٣)، وهي طاعة الله وامتثال أوامره ونواهيه في جميع مجالات الحياة، مع منتهى الإخلاص والتسليم والتعظيم والمحبة له(٣٤).

ولقد تكررت الدعوة إلى العبادة و الاستغفار والتقوى في القرآن كثيرا، وكانت هذه المفاهيم الثلاثة محور الرسالات التي دعا إليها الأنبياء والرسل. يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (٣٥).وهكذا كانت العبادة من الغايات التي دعا إليها الرسل، و الغاية الكبرى التي خلق من أجلها الجن والإنس، فقال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (٣٦).

### المبحث الثاني: الحث على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب الأمم

ان دعوة القرآن الكريم الى التفكر والتدبر وتشغيل العقل من المنطلقات الأساسية لبناء الانسان والحضارة لانها تصحح رؤيته المعرفية للحياة والوجود، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ**

﴿الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٧). وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣٨).

فهذه الآيات وغيرها تقرر أن الله خلق الكون عونا للإنسان لأداء رسالته، وجعله مسخرا له، لذلك حاول الإنسان منذ أقدم العصور تعليل الظواهر الطبيعية والأحداث الاجتماعية والتاريخية، وإيجاد مبررات ومسوغات لوقوعها، فبالنظرة لهذا الكون والتأمل فيه تتبين قيمة الإنسان وتفضيل الله على سائر الكائنات التي خلقت من أجل خدمته، ونظرا لقيمة الإنسان وتكريم الله له فقد أناط به مهمة الاستخلاف في الأرض (٣٩).

وهذا بعد أن زوده بوثائق الاستخلاف، فمنحه عقلا وفؤاد وسمعا وبصرا و آتاه الوحي، وكل ما تقتضيه ضرورة الاستخلاف، وحمل الإنسان المسؤولية من يوم وجد نفسه على الأرض. فقال الله تعالى في سورة البقرة اية(٣٨) ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وعمل القرآن مع الإنسان يبدأ بكشف الحقائق الهامة الكامنة في ذاته، ويبرز القرآن هذه الحقائق الذاتية أمام فكر البشر ومشاعره، بدعوته إلى التدبر في نفسه، والنظر في الأرض والسير فيها والاعتبار بحوادث الدهر ومصائر الشعوب، فإذا انتبه الإنسان إلى الحقائق الموجودة في هذا الكون والكامنة في نفسه، وعرف أنها سنن الله في التحضر، أدرك دوره في الحياة وواجبه تجاه نفسه وتجاه الله وتجاه الناس وتجاه الوجود عامة (٤٠).

وفي سياق الحث على تشغيل العقل جعل للعلم منزلة كبيرة فلقد دعا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله إلى طلب العلم والقراءة وكرم أداءهما من أول آية نزلت في كتاب الله تعالى على قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٤١).

والعلم هو التصديق الحازم المطابق للواقع، بل هو إدراك حقائق الأشياء والمسائل بدليل وبرهان وهو هو يحتاج إلى عقل مفكر تميز، وتخيل واسع مبدع، وذاكرة حافظة مصورة (٤٢). ويعتبر الإسلام أول عقيدة كرمت العلم والعلماء، فلقد أعلى الله عز وحل من مكانة العلماء ورفع شأنهم، قال تعالى: ي﴿رفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾"(٤٣). والرسول (صلى الله عليه وسلم) جعل مقام طالب العلم في صف المجاهدين لإعلاء كلمة الله ناحية الأجر والمنزلة، روى الترمذي صلى الله عليه واله وسلم قال: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"(٤٤).


Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)
مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٣

وكما كرم الله العلم كرم أدواته أيضا، فأول شيء أقسم به الله في القرآن تكريما له وتعظيما لشأنه هو القلم، يقول تعالى: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (٤٥). وذهب جمهور المفسرين إلى أن النون هي الدواة، وأقسم كذلك بالرق المنشور و هو الوسيلة التي تحتفظ بالكتابة (٤٦)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ (٤٧)، وعن فضل العلم وردت آيات عديدة وأحاديث كثيرة كلها تحل العلماء وتعلي من شأنهم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " (٤٨).

فالعلم نافع ينال صاحبه الأجر عنه في حياته وحتى بعد مماته، ونظر لقيمته وأهميته جعل الله قداسة العلم مصارعة لقداسة العبادة، لأنه يعتبر العلم في ذاته من أسمى العبادات، ودليل ذلك أن القرآن الكريم دائم التذكير بالعقل و التدبر و التفكير، وقد ذكر العقل باسمه وأفعاله زهاء الخمسين مرة، وذكر العلم في مواضع من آياته تنافر المائة مرة وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وجاء في ذكر "أولي الألباب" أي أم حاد، العقول بضع عشرة مرة، وذكر في " أولى النهى" أي أمدار العقول في آخر سورة طه، وجاء في القرآن أيضا ذكر الحكمة مرات كثيرة(٤٩).

والعلم في القرآن ليس خاصاً، بل يتصف بالشمولية، فهو يشمل كل علم نافع سواء كان علما دينتا أو دنيويا، نظرنا أو تحرستا مادام أنه في خدمة الدين، ومادام أنه يرفع منار الحضارة. فالله لم يقيد العباد يطلب علم عدد وإنما أطلق لفظ العلم ليشمل كل ما ينفع الأمة (٥٠). يقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٥١).

وما يلاحظ على العلم في الإسلام هو أنه ليس محددا بمرحلة عمرية، بل أمر الله الإنسان بطلبه منذ الولادة حتى الوفاة. جاء في الأثر: " أطلب العلم من المهد إلى اللحد"، ولقد حرم الله سبحانه التقليد الأعمى الذي لا يقوم على حجة ولا يستند إلى دليل لان ذلك رفض صريح لاستعمال العقل والفكر، وتعطيل للمواهب وتفضيل للاسترخاء والسير في طريق الجهل والضلال. يقول صلى الله عليه واله وسلم " كن عالما أو متعلما (٥٢).

فقد كان الإسلام ثورة علمية حقيقية في بيئة ما الفت روح العلم، وما تعودت عليه، حتى ان المرحلة السابقة لنزول القرآن تسمى الجاهلية، فصفة الجهل ترتبط بما قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام لتبدأ مرحلة العلم وليدخل العرب مرحلة جديدة في التاريخ، مرحلة ثورية اقامت واحدة من اعظم الحضارات عبر التاريخ (٥٣).

بل ان هذه الحضارة مهدت لقيام الحضارة الأوربية الحديثة بما أورثته لها من مناهج تفكير وعلوم تجريبية كانت نتيجة جهود جبارة لمئات أو آلاف العلماء المسلمين في مختلف حقول المعارف عبر حركات الترجمة التي كانت الموقظ الفعلي لسبات العقل الاوروبي(٥٤).

والإسلام جعل محاولة اكتشاف سر العالم على المستويين المعنوي، والمادي؛ عملا من أعمال البر، والتقوى، بل مطلبا رئيسيا من مطالبها، وإذا تخلى العلم عن رسالته وهدفه، أو صواب في غير اتجاهه ووجهته؛ فإنه يصبح وبالا على الإنسان، وتصارعاً للحياة، ومعولا من معاول الهدم في الحضارات؛ وسببا من أسباب انهيارها؛ وقد احتفت الآيات القرآنية، بإعلاء منازل العلماء، وبيان رفعتهم، ومداد العلماء المسفوح على القراطيس؛ يقربهم من الجليل العليم الخبير؛ ويرفعهم إلى مقام الشهادة مع الكريم والملائكة الأبرار قال تعالى ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٥٥)، وقال ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(٥٦).

وقد ورد في الحديث عن الرسول انه قال: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماء سهل الله له طريقا إلى الجنة" وقارن القرآن الكريم بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(٥٧).وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾(٥٨).

والعلم لانهاية لأخره؛ فهو باب مفتوح، قال ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (٥٩). وقيل: ما أمر، ورسوله، مطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، فالعلم حلية العقل؛ وبه يهتدي إلى اكتشاف الأشياء؛ وسبر أغوارها؛ وتحليل جزئياتها. والقرآن الكريم فتح أبواب العلم النافع على مصراعيها؛ فدعوته للنظر في آفاق الكون الرحيب والتدبر في الخلق؛ كل ذلك ينشأ منه علم زاخر، قال جل وعلا: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾(٦٠).

ولم يكن لمجتمع حاجة لشيء أقوى من حاجته للعلم والتعلم والتعليم، وإن الحضارات لم تظهر في التاريخ البشري إلا يوم أصبح الإنسان قادرا على اكتساب العلوم والمعارف والاستفادة منها في نفع نفسه وغيره. ولم تتطور إلا بتطور العلوم، ولم تتدهور أيضا إلا بتوقف العلوم. فالحضارة متوقفة على العلم وجودا أو عدما(٦١).

والعلم في الحضارة البناءة هو منهج، وطريق؛ تستشرف به غيوب المستقبل، وأسلوب من أساليب التعامل مع الأشياء، من البحث والنظر، وربط النتيجة بالسبب، وطريقة من طرائق التفكير التي بها تشاد الحضارة. فقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾(٦٢)، وعلم



مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٣

جل وعلا﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٦٣). وإذا كانت الحضارة بنت العلم فليس ثمة شك في أن العلم يدفع إلى الإبداع، والتفكر، والتدير، وكل من الإبداع، والتفكر، والتدبر ينبت حضارة، وينشئ معرفة، ومن هنا نعلم أن العلم الشامل الذي دعا إليه الله في كتابه وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة خلال العصور وعبر التاريخ فلا نهوض حضاري انساني إلا به.

ومن مزايا القرآن الكثيرة مزية التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف، ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة الى العقل أو الى التمييز، ولكنها تأتي عرضا غير مقصودة وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحايين شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه، لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوى والانكار، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع اليه، ولا تأتي الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه، ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة، بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته، فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة، وهي كثيرة لا موجب لتفصيلها في هذا المقام المجمل، اذ هي جميعا مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء، فالعقل في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة « عقل » التي يؤخذ منها العقال، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الانسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين من البشر، فان كلمة « مايند » Mind وما خرج من مادتها في اللغات الجرمانية تفيد معنى الاحتراس والمبالاة وينادي بها على الغافل الذي يحتاج الى التنبيه، ونحسب ان اللغات في فروعها الأخرى لا تخلو من كلمة في معنى العقل لها دلالة على الوازع أو على التنبيه والاحتراس(٦٤).

ومن خصائص العقل ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور، وهي على كونها لازمة لإدراك الوازع الأخلاقي وادراك أسبابه وعواقبه تستقل أحيانا بإدراك الأمور فيا ليس له علاقة



مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٣

بالأوامر والنواهي أو بالحسنات والسيئات، ومن خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبني عليها نتائجه وأحكامه، وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة الحكم، وتتصل بها ملكة الحكمة، وتتصل كذلك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به الى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه، من أعلى خصائص العقل الإنساني « الرشد » وهو مقابل لتام التكوين في العاقل الرشيد، ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتام والتمييز بميزة الرشاد حيث لا نقص ولا اختلال، وقد يؤتى الحكيم من نقص في الإدراك وقد يؤتى العقل الوازع من نقص في الحكمة، ولكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من هذا وذاك، وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها. فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان، فمن خطابه إلى العقل عامة – ومنه ما ينطوي على العقل الوازع – قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٦٥]، في مجمع البيان: روي الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد ابن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يسوك ثم ينظر إلى الماء ثم يقول : ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** . .﴾. وقد اشتهرت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لاكها[٦٦] بين فكيه ولم يتأمل ما فيها، وورد عن الأئمة من آل محمد الأمر بقراءتها وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر[٦٧].

**قال تعالى : ﴿ وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾**[٦٨]**، وقوله تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (26) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾**[٦٩]**،﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا**



Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٧٠)، ومنه ما يخاطب العقل وينطوي على العقل الوازع كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٧١)، ومنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٧٢)، ومنه بعد بيان حق المطلقات: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣).ومنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٧٤)، ومنه، بيانا لأسباب الشقاق والتدابير بين الأمم قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(٧٥).

وبذلك فإن الأمم والشعوب الماضية التي تشكل حركة التاريخ لا يجب النظر إليها على أنها مجرد أمم انقضت وقائعها وحوادثها دون إدراك ومعرفة القوانين التي تحكمها، وإنما علينا الاعتبار والاتعاظ بما حدث لها، واستخلاص الدروس التي تفيد، وفي القرآن الكريم ذكرت الكثير من القصص التي ركزت على العبر والعظات، ولم يكن هناك اهتمام بالمقومات التاريخية من حيث الزمان والمكان، وهذا ما عمم فائدة العبرة وجعل تأثيرها ودورها كبير في النفوس والمجتمع، وقد ذكرت كثير من قصص الأنبياء والأقوام وأمراض الأمم النفسية والعقدية من شرك ووثنية وظلم، وما لذلك(٧٦).

ونجد في القرآن معان للاعتبار؛ فمن حيث كون العبر عاملا تربويا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (٧٧).

ومن ناحية النظر إلى الزمان كيف يتقلب ويدور، **قال تعالى:** ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٧٨).

ولقد كان لآثار الماضيين مما اكتشفه الدارسون دور في صقل المواهب وتأكيد المعارف الصحيحة، وبيان الصحيح والفاسد منها، ولا تزال تحارب السابقين تكشف للأحقين أخطاءهم وتريهم سلبيات أعمالهم، وتقودهم نحو الأحسن، وما دعوة القرآن للنظر في عواقب السابقين وأخبارهم إلا دليل على علم الله بأن الإنسان عادة ما يعتبر من هو أكثر منه وأشد قوة وأعظم شأنا، مثل قوم عاد وثمود (٧٩).

وإن النظر في آثار الغابرين نظرة التأمل والتفكر تهز القلوب الغافلة، فحينما تحول العقول والقلوب في مصارع القرون، وتطالع العيون أثارهم ومساكنهم، حينئذ تتحول هذه الظواهر كلها وهذه الآثار التي ذكرت عن الأمم السابقة إلى عوامل تربية وبناء الأمم والمجتمعات، ومعلوم أن

النفس البشرية شديدة الحساسية لمصارع الغابرين، وأقل يقظة فيها وأقل تفتح كافيان لاستعادة الذكريات والتصورات الموحية في مثل هذه المواقف المؤثرة (٨٠).

فأخبار الأمم السابقة وآثارهم التي أحصاها القرآن عبرة لمن أراد بناء الأمم وتأسيس الحضارات الإنسانية، لأن ما أخطأوا فيه سيتجاوزه اللاحقون، وما خلفوه من آثار سيحولونه إلى عوامل ترقى بالأفراد وترقي شعوبهم وتطورها، وان عمارة الأرض التي أرادها الله للإنسان أن يكون خليفته في الأرض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم والمقدرة_الجسدية على التنفيذ والعمل والأبداع، والإرادة (الحرة) لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكرة ودوافعه النفسية والجسدية. ولكي لا يحس الانسان (بالدونية) ولا تدور في خواطره أية فكرة عن (سلبية) دوره في العالم، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف وطلب من الملائكة أن يسجدوا له. وتلك هي أسس تقود ولا ريب إلى دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة، مفكرة، مريدة، منفذة، مستقلة، مفضلة، الأمور التي لابد منها لأي أبداع حضاري على الأرض. فإذا ما أضفنا إلى هذا من أن العالم قد مهد تمهيداً للدور البشري على أرضيته، وما سنشير إليه فيما بعد من أبعاد (الصراع) التي لابد منها (للحركة التأريخية)، ومن خطورة التعاليم التي كانت تتنزل حيناً بعد حين لكي (تضبط) و(تنظم) حركة الإنسان في الأرض، أدركنا كم هي عميقة شاملة متكاملة الأسس التي منحت للبشرية لكي تعتمدها في ممارسة خلافتها العمرانية أو الحضارية في العالم، وأن الله تبارك وتعالى يريد أن يسلم للمخلوق الجديد آدم عليه السلام، زمام هذه الأرض وأطلاق يده فيها، يبدع فيها عن طريق التكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف طاقات وكنوز هذه الأرض، وتسخير كل ذلك في المهمة الملقاة على آدم وذريته (٨١).

وقد وهب طاقات واستعدادات توازي وتعادل ما في هذه الأرض من طاقات وكنوز وخامات.. إن منزلة الإنسان في الوجود منزلة عظيمة، وهو يمتاز بقدرات فائقة على التعلم والتعليم وهذه القدرات تعينه على اكتساب المعارف وتنميتها واستثمارها، هي من مرشحات الخلافة في الأرض، لأنه خير من يعمرها ويقيم الحضارة فيها، أما الملائكة فتجيد التسبيح لله تعالى، وتحسن وتجيد العبادة، تطيع ولا تعصي، ولكن متطلبات التحضر والعمران هي العلم المتطور المتجدد دائماً، وهذا ما يحسنه الإنسان، ولا تحسنه الملائكة، ومن هنا وقع الاختيار على الإنسان دون الملائكة (٨٢).

ان مسألة الاستخلاف تبدو خلال الآيات مرتبطة بالابداع ومجانبة الإفساد في الأرض، وتلقي المقومات والتعاليم والشرائع عن الله والالتزام الكامل بها خلال ممارسة الجهد البشري في العالم.. والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة، بحيث أن افتقاد أي منهما سيؤول الى

الخراب والضياع في الدنيا والآخرة، ويقود إلى عملية استبدال للجماعة البشرية بغيرها ممن تقدر على الإمساك بالخيط من طرفيه: للإبداع والعلم، والتلقي الدائم عن الله لضبط وتوجيه الارض الى مسالكها الصحية التي تجعل الإنسان يقف دائماً بمواجهة خالقه كخليفة مفوض عنه لإعمار العالم (٨٣).

**الهوامش**

---

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية/١٣.

(٢) د. محمد حسن ابو يحيى، اهداف التشريع الإسلامي/٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٥) محمد علي الحلو، تفسير الامام الحسين(ع)، ط١، العراق–كربلاء المقدسة– قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠٠٩، ص١٣٦–١٣٧.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٧) ينظر: يوسف القرضاوي، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٢٣.

(٨) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٩) ينظر: د. فتحي الدريني، خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم، ص٢٢٣–٢٢٤.

(١٠) هذا لا يعني أبداً التشكيك بالمحاولات العلمية، التجريبية لدراسة الجانب الطبيعي القائم (فعلاً) من الكون والسعي للكشف عن قوانين بنيانه المحكم، لأن هذا التصور الذي يدعوا له القرآن في عشرات الآيات.. أنما القصد هو الجانب الفلسفي التصوري لبدايات الخلق والبحث عن (العلة) و (متناهي الأول) إلى الآخر...

(١١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(١٢) ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ/١٧٦.

(١٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(١٤) سورة هود الآية ٧؛ كذلك تراجع (يونس ٣–٥، الاسراء: ١٢، البقرة: ٢٩، الرعد: ٢، الانبياء: ٢٠–١٦، السجدة: ٧–٤، الحديد: ٤، فصلت: ١١–٩).

(١٥) ينظر: مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي/١٩–٢١.

(١٦) سورة الملك: الآية ١٤.

(١٧) اية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ج٢٩، مؤسسة النبأ الثقافية، طهران، مطبعة دالاهو، ٢٠١٣، ص١٨–١٩.

(١٨) سورة طه: الآية ٥٢.

(١٩) سورة الأحقاف: الآية ٩.

(٢٠) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٢١) سورة القلم: الآية٤.

(٢٢) اية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ج٢٩، مؤسسة النبأ الثقافية، طهران، مطبعة دالاهو، ٢٠١٣، ص٤٠–٤١.

(٢٣) ينظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي/٢٤–٢٥.

(٢٤) سورة النساء الآية٩٣.

(٢٥) سورة المائدة: الآية ٣٣.

(٢٦) سورة النور: الآية ١٩.

(٢٧) علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الامام علي(ع)، ط١، دار الصفوة، ٢٠١١،ص٣٥١.

(٢٨) ينظر: مناع القطان، تاريخ التشريع الاسلامي، ص٢٢.

(٢٩) والمقصود بالساحة التاريخية الساحة التي تحتوي تلك الحوادث والقضايا التي يهتم بها المؤرخون.

(٣٠) سورة آل عمران: الآية ١٣٧ – ١٣٨.

(٣١) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد الرابع، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان-بيروت، ١٩٧٤،ص٢١.

(٣٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٧.

(٣٣) سورة يس: الآية ٦٠.

(٣٤) المسيب وآخرون: نظرات في المقالة الإسلامية/١٨٥.

(٣٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣٦) سورة الذاريات الآيتين [٥٥ –٥٦].

(٣٧) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

(٣٨) سورة البقرة الآية: ٣٨.

(٣٩) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص١٥٠ – ١٥٢.

(٤٠) ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: الإسلام ملاد المجتمعات الإنسانة لماذا...... كيف؟ دار الفكر المعاصر، سوريا،١٩٨٤/٤/٤.

(٤١) سورة العلق: الآية (٣ – ٥).

(٤٢) عبد الحميد مهدي: ركائز الحضارة في الإسلام/٥.

(٤٣) سورة المجادلة الآية ١١.

(٤٤) الترمذي أبو عيسى محمد الجامع الكبير، باب فضل العلم/٢٩.

(٤٥) سورة القلم الآية ١.

(٤٦) أحمد على الملا: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية/١١٢-١١٣.

(٤٧) سورة الطور الآيات (١ – ٣).

(٤٨) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري المسند الصحيح، كتاب الوصية/٨٨٦.

(٤٩) ينظر: محمد عبد السلام الخفاجي: الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللسان، ص ١٣٧.

(٥٠) ينظر: عبد الله ناصح علوان: معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية/٨.

(٥١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٥٢) ينظر: عبد الحميد مهدي: ركائز الحضارة في الإسلام، مفهوم العام الإيمان- العمل/١٨ – ١٩.

(٥٣) ينظر: راغب السرجاني، العلم وبناء الحضارة، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٧/ ٩.

(٥٤) ينظر: د. رمضان الصباغ: العلم عند العرب واثره في الحضارة الاوروبية، دار الوفاء، مصر، ١٩٩٨.

(٥٥) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٥٦) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٥٧) سورة الزمر: الآية ٩.

(٥٨) سورة فاطر: الآية ٢٨.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٣

[٥٩] سورة طه: الآية ١١٤.
[٦٠] سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
[٦١] ينظر: جريدة المحجة، العلم ودوره في بناء الحضارة، العدد: ٤٧٠، لسنة: ٢٠١٧. الموقع: http://almahajjafes.net
[٦٢] سورة الغاشية: الآيات من (١٧ – ٢٠).
[٦٣] سورة الاسراء: الآية ٣٦.
[٦٤] ينظر: عباس محمود العقاد، التفكير عقيدة إسلامية/٨ – ٩.
[٦٥] سورة البقرة: الاية١٦٤.
([٦٦]) لاك اللقمة: مضغها وأدارها في خه.
([٦٧]) علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الامام علي(ع)،ط١، دار الصفوة، ٢٠١١، ص٢٥.
[٦٨] سورة المؤمنون: الآية ٨٠.
[٦٩] سورة الروم ٢٥– ٢٨.
[٧٠] سورة العنكبوت، ٤٣.
[٧١] سورة الملك: ١٠.
[٧٢] سورة الانعام: ١٥١.
[٧٣] سورة البقرة: ٢٤٢.
[٧٤] سورة يوسف الاية، ١٠٩.
[٧٥] سورة الحشر الاية، ١٤.
[٧٦] ينظر: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مصدر سابق/١٦١– ١٦٢.
[٧٧] سورة النازعات: الآية ٢٥.
[٧٨] سورة النور الآية ٤٤.
[٧٩] ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، مصدر سابق/١٥٢ – ١٥٥.
[٨٠] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص٦٦.
[٨١] ينظر: المصدر نفسه، ص٦٧.
([٨٢]) ينظر: د. نعمان هبد الرزاق السامرائي، ص٤٧ – ٥٠.
([٨٣]) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص١٩٣-١٩٤.

**المصادر**


١.أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩.

٢.اية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ج٢٩، مؤسسة النبأ الثقافية، طهران، مطبعة دالاهو، ٢٠١٣.

٣.الترمذي أبو عيسى محمد الجامع الكبير، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥.

٤.جريدة المحجة، العلم ودوره في بناء الحضارة، العدد: ٤٧٠، لسنة: ٢٠١٧. الموقع:

٥.د. فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠١٣.

٦.د. محمد حسن ابو يحيى، اهداف التشريع الإسلامي، ج١، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٧.راغب السرجاني، العلم وبناء الحضارة، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٧.
٨.رمضان الصباغ، العلم عند العرب واثره في الحضارة الاوروبية، دار الوفاء، مصر، ١٩٩٨.
٩.سيد قطب، تحليل كتاب في ظلال القران ما له وما عليه، دار الشروق، ٢٠١٣.
١٠.عباس محمود العقاد، التفكير عقيدة إسلامية، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧.
١١.عبد القادر عودة، كتاب التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٨.
١٢.عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٢.
١٣.العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد الرابع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان–بيروت، ١٩٧٤.
١٤.علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الامام علي(ع)، ط١، دار الصفوة، ٢٠١١.
١٥.عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.
١٦.عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.
١٧.محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا وكيف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.
١٨.محمد عبد السلام الخفاجي، الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
١٩.محمد علي الحلو، تفسير الامام الحسين(ع)، ط١، العراق–كربلاء المقدسة– قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠٠٩.
٢٠.محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦.
٢١.محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
٢٢.المسيب وآخرون: نظرات في المقالة الإسلامية، مطبعة الارشاد، ١٩٧٤.
٢٣.مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
٢٤.جريدة المحجة، العلم ودوره في بناء الحضارة، العدد: ٤٧٠، لسنة: ٢٠١٧. الموقع:
http://almahajjafes.net
٢٥.يوسف القرضاوي، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.

**List of sources and references**

1. Ahmed Ali Al Mulla, The Impact of Muslim Scholars on European Civilization, Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1979.
2. Ayatollah Sheikh Muhammad Baqir al-Malki al-Mianji, Methods of Statement in the Interpretation of the Qur'an, Volume 29, Al-Naba Cultural Foundation, Tehran, Dalaho Press, 2013.
3. Al-Tirmidhi Abu Issa Muhammad Al-Jami' Al-Kabeer, Sunan Al-Tirmidhi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company, Egypt, 1975.
4. Al-Mahaja Newspaper, Science and its Role in Building Civilization, Issue: 470, Year: 2017. Location:

5. Dr. Fathi Al-Derini, Characteristics of Islamic Legislation in Politics and Governance, 1st Edition, Al-Resala Foundation, Lebanon, 2013.
6. Dr. Muhammad Hassan Abu Yahya, The Objectives of Islamic Legislation, Volume1, Dar Al-Furqan for Publishing and Distribution, 1985.
7. Ragheb Al-Sirjani, Science and Building Civilization, Iqra Foundation, Cairo, 2007.
8. Ramadan Al-Sabbagh, Science among the Arabs and its Impact on European Civilization, Dar Al-Wafa, Egypt, 1998.
9. Sayed Qutb, Analysis of a book in the shadows of the Qur'an, what is his and what is against him, Dar Al-Shorouk, 2013.
10. Abbas Mahmoud Al-Akkad, Thinking an Islamic Doctrine, Dar Al-Nahda for Printing, Publishing and Distribution, Egypt, 2007.
11. Abdel Qader Odeh, The Book of Islamic Criminal Legislation compared to Positive Law, Dar Al Kateb Al Arabi, Beirut, 2008.
12. Abdullah Nasih Alwan, The Landmarks of Civilization in Islam and Its Impact on the European Renaissance, Dar es Salaam, Cairo, 2012.
13. Allama Sayyid Muhammad Husayn al-Tabataba'i, The Balance in the Interpretation of the Qur'an, Volume IV, Al-Alamy Institution for Publications, Lebanon - Beirut, 1974.
14. Ali Ashour, Interpretation of the Noble Qur'an according to the narration of Imam Ali (peace be upon him), i 1, Dar Al-Safwa, 2011.
15. Imad Al-Din Khalil, The Islamic Interpretation of History, 3rd Edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1981.
16. Imad Al-Din Khalil, The Islamic Interpretation of History, 3rd Edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1981.
17. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, Islam is the sanctuary of all human societies, why and how, House of Contemporary Thought, Beirut, Lebanon, 2010.
18. Muhammad Abd al-Salam al-Khafaji, Islam and Human Civilization, The Lebanese Book House, Beirut, 1982.
19. Muhammad Ali Al-Hilu, Interpretation of Imam Al-Hussein (peace be upon him), 1st Edition, Iraq - Holy Karbala - Department of Intellectual and Cultural Affairs, 2009.
20. Muhammad Hayshour, Sunan of the Qur'an in the Rise and Fall of Civilizations, International Institute of Islamic Thought, 1996.
21. Mahmoud Mohamed Shaker, A Message on the Way to Our Culture, The Egyptian General Book Organization, 1997.
22. Al-Musayyab and others: Looks at the Islamic Article, Al-Irshad Press, 1974.
23. Manna bin Khalil Al-Qattan, History of Islamic Legislation, Knowledge Library for Publishing and Distribution, 2000.
24. Yusuf Al-Qaradawi, Introduction to the Study of Islamic Law, 1st Edition, Al-Resala Foundation, 1993.
25. Al-Mahaja newspaper, Science and its Role in Building Civilization, Issue: 470, Year: 2017. Location:
http://almahajjafes.net